**محاضرة عن المدرسة المستقبلية مدرسة المادة : م.م نور خليف محمود**

تحولت الاكتشافات الحديثة والإنجازات العلمية إلى معالجات أسلوبية وتقنية تناولها الفنانون المستقبليون في نقاشاتهم ، معلنين إعجابهم بنتاج العلم الحديث ،ى كالسيارة والقطار والطائرة ، التي باتت مصدر إلهام لأعمالهم الفنية ، وهو ما يفسّر اهتمامهم الكلي بالحركة والسرعة كدليل على دينامية الحياة الحديثة ، ومحاولتهم التعبير عن دوامة الحيا . وقد عبّر ( مارنيتي Marinetti ) [[1]](#footnote-1)(\*\*) عن ذلك بقوله : " إن سيارة هادرة تمرق مندفعة كطلقة مدفع رشاش أجمل بكثير من تمثال انتصار ساموتراس [[2]](#footnote-2)(\*\*\*) ، إذ كان الجو العقائدي والأديان ألهما فناني العصور السابقة ، وجد فنان القرن العشرين نفسه أمام عامل جديد يستمد منه الإلهام ، وهو الآلة ، وهي روح القرن العشرين ودلالته ، فلا شيء أروع من فولاذ ينبض بالحركة ، فينطلق مسابقاً الريح ... فالفنانين في المدارس السابقة كانوا يستخدمون تقنية البقع الفاتحة والقاتمة ، ليتسنّى لهم الحصول على الحركة(1)

لكن الحركة لدى المستقبليين تأخذ في حالات الطابع النظري ، وغالباً ما تتقدم ( الفكرة ) في جزء كبير من أعمالهم على الإدراك البصري . توصل المستقبليون إلى تمثيل الحقيقة إشارياً من خلال أجزاء أو عناصر منطقية منها ، دون اللجوء إلى علم المنظور والتجسيم والبصرية الإيهامية . هذه التقنية ساهمت في التوصل إلى الصورة – الذكرى ، أو الصورة – الفكرة ، الموجودة عند مستوى مخيلة المشاهد ، ولا بد من الإشارة إلى أن هذه التقنية ظهرت سابقاً في أعمال التكعيبيين ، وأن وسائل المستقبليين قريبة من وسائل التكعيبيين ( ليجيه وغريس خاصة ) ، فإن الحركة تبقى لديهم ، كما يقول ( بوبير ) " في موقع وسط بين الحركة الموضوعية في التكعيبية والحركة الذاتية في التعبيرية (2) .

ففي شباط من عام 1910 ، نشر بيان آخر للمستقبليين ، شنّوا فيه هجوماً عنيفاً على كل ما يمت إلى الماضي بصلة ، وتمجيد كل ما هو فتي وجديد ينبض بالحياة ، لا فن غير الذي ينهل عناصره من محيطه المديني الحديث ، وسعيها إلى عرض وتمجيد الحياة اليومية التي يصوغها العلم الظافر بعنف وبلا توقف ( 3) . لقد جعلت المستقبلية من الماكنة والآلات بحركتها المستمرة والهادرة ، الشكل النموذجي للجمالية الحديثة . فالجمالية الحديثة مفخخة بالسرعة والحركة والإحساس بالزمن وتجاوزه ، ورفض كل صور الماضي .

فكانت الديناميكية هي المثير النموذجي للمستقبليين ، لذلك كان التفكيك من الأساليب التقنية للمستقبليين ، إذ تعمد إلى تفكيك أوصال الشيء ، والتي تمنحهم الإحساس بالحركة بتقسيم الشكل ، بما يتيح لهم الإيحاء بالإيقاع الدينامي الشامل للموضوع ، ثم تجميعها إلى صورة أخرى مثلما كان يفعل التكعيبيون ، مع فارق أن الرسام المستقبلي كان يعمد للكشف على خطوط القوة الكامنة في حركتها ، ثم تمديد الشكل وتكثيره في اتجاه هذه الخطوط ، فكان تحقيق التداخل بين الشكل والجو – البيئة المحيطة ، من الأهداف الرئيسة في الفن المستقبلي ، ففضاء اللوحة هو الجو الذي تتحرك وتتداخل فيه الأجسام ، والأجسام في عصر السرعة والحركة لا تظهر إلاّ على هيأة حركة وضوء . أما اللون فهو موشوري لا يحمل إلاّ صورة قزحية ماضية ... ولذلك ثار المستقبلي على سلطان الهارموني (4) ، ولهذا اعتمدت المستقبلية على حركة الشكل من خلال لإدراكه في نسق العلاقات البصرية ، وإرباكه بوساطة التفكيك .

وبذلك فإن ( أمبرتو بوتشيوني Boccioni 1882 – 1916 ) أبرز ممثلي المستقبلية ، يسعى لإيجاد معادلة فنية حديثة للحركة والسرعة في عمله التصويري أو النحتي ، فيلجأ في التصوير إلى الحركات ، والإشارات ، والمنظور – الإسقاطي ، والخطية المتحركة والضوء . ثم يصل بعد ذلك إلى الجمع بين هذه الدينامية الخطية ، وتنظيم مساحة اللوحة بواسطة القيم اللونية . وبهذا أكّد ( بوتشيوني ) على القيمة التشكيلية للحركة . ففي الرسم يجب إعطاء الشعور بالحركة ، أي الإيقاع الخاص لكل شيء مع ميوله وحركته وقوته   
الداخلية .. ولهذا تجاوز المستقبلي جمود الأسلوب التكعيبي ، فكل شيء يركض ويتحرك ويتحول في سرعة ، فالأشياء ليست جامدة ، بل في تقلّب دائم ومتغيرة في تلاحقها ، كما ذبذبات متدافعة في المدى الذي تجتازه ، فلرسم صورة بشرية لا نلجأ إلى تلك المعادلات التقليدية ، بل إعطاء كل المناخ المحيط بها .. فلنقل مجموعة الأحاسيس البصرية التي تختلج في الواقف على الشرفة ، كضجة الشوارع مثلاً ، ينبغي خلق مناخ خاص يفكك الأشياء ويُذيب التفاصيل ، معرّياً إياها من منطقها السائد ( 5 ) . وبهذا كان المستقبليون يسعون إلى تجميع أشكال الحركة المستمرة في صورة واحدة ، فتصوير الشيء في حالة ثباته أمر غير مرغوب ، فالسرعة تؤدي إلى تداخل وتشابك صور الأشكال مع بعضها، بحيث تتولد منها صور جديدة . وبذلك طالبَ المستقبلي باحتقار كل أشكال التقليد ، وتمجيد كل أشكال الابتكار ، والثورة ضد طغيان التعابير المطاطة، كالتناغم والذوق السليم ، واعتبار نتائج العلم كالسيارة والقطار والطائرة، مصدر إلهام لعملهم الفني ، بوصفها مظهراً من مظاهر السرعة ودينامية الحياة الحديثة في محاولة منهم للتعبير عن دوامة هذه الحياة ، يقول ( بوتشيوني ) " إن رغبتنا في الحقيقة لا تكتفي بالشكل واللون التقليديين ، فالحركة إحساس دينامي دون نهاية .. ففي حين يصور الانطباعي لوحة بهدف إبراز لحظة عابرة نتوصل نحن إلى تركيبه من الزمان والمكان واللون والدرجات اللونية ، وهدف التمثيل لا يقتصر فقط على تتالي الحركة ، بل يتعداها إلى تزامن الحالات النفسية " . فلا يمكن أن يكون فناً عصرياً إلاّ إذا اعتمد على إحساس عصري محض ، فالفن والإحساس لفظان لا ينفصلان . لقد أطلقنا أيدينا حرة لتبدأ كل شيء من جديد . ولذلك أكد المستقبليون على ضرورة الكشف عن الإحساس الديناميكي المستمر ، والتعبير عن الأشياء المتحركة ، كما أكدوا على نقاوة الحس البدائي والتقنية الضوئية من التلوين ، فضمن بحثهم عن أسلوب جديد تأثروا بانطباعية ( سوراه وسينياك ) الجديدة والتحليلية التكعيبية (6 )

فقد وجدوا أن باستطاعتهم أن يوحوا بالنبض الضوئي والارتعاش والحركة في اللون والشكل . ففي لوحة ( بوتشيوني ) – شجار – 1910 ، نرى التنقيط المبتهج للبقعات ، وكذلك للأبنية والأرض والأضواء المتوهجة ، وقد ساهم في إنعاش نشاط المشهد وحيويته، نسبة إلى الثبات العمودي للمنظور البنائي. وقد صوّر ( بوتشيوني ) في هذه اللوحة الحشود المسترنمة والمتأرجحة الغير المتوازنة ، المندفعة بسرعة الحركة الفردية لحشد من الناس كيرقات ملتوية أو جماعة مقاتلة من الحشرات المنجذبة بشكل لا يقاوم للأضواء المتألقة أشباك المقهى . وقد أصبحت مواضيع الاهتياج والإثارة المفاجئة للجماهير المدنية موضوع للتأملات المثيرة للخيال من قبل الرسامين ( 7 ) .

لقد استغل المستقبليون فكرة التزامن في التكعيبية من أجل تصوير لقطات الأماكن متزامنة مختلفة في آنٍ واحد . لذا وجد المستقبلي أن جمال الحركة يكمن في الديناميكية والتزامن ، فقد حاول المستقبلي تصوير الحركة بتخيّل الجزء المتحرك من الجسم عدّة مرات بأوضاع مختلفة ، بإعادة تصوير مظهرين أو أكثر لحركة القوام بمجمله بإطالة وتعريض الشيء الممثل باتجاه الحركة ، فحاول بذلك الفنان أن يمد جسراً بين اللامحدود التشكيلي الخارجي واللامحدود التشكيلي الداخلي .

1- في ، جاكوب كورك : اللغة في الأدب الحديث ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، 1989، ص 90 .

1. أمهز ، محمود : الفن التشكيلي المعاصر ، 1870 – 1970 ، التصوير ، دار المثلث للتصميم والطباعة والنشر ، بيروت ، 1981، ص113 .

3- المبارك ، عدنان : بيانات عقود القرن الأول ، ت : عدنان المبارك ، مجلة الكرمل ، ع17 ، 1985 ، ص 96.

4-الشوك ، علي : الدادائية بين الأمس واليوم ، وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر ، ب ت ،ص 17.

1. سيرولا ، موريس : الفن التكعيبي ، ت : هنري زغيب ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1983 ، ص124.
2. باونيس ، ألان : الفن الأوربي الحديث ، ت : فخري خليل ، دار المأمون ، بغداد ، 1990 ،ن ص 180.-
3. مولر ، جي أي وفرانك إيغلر : مئة عام من الرسم الحديث ، ت : فخري خليل ، دار المأمون للترجمة والنشر ، 1988 ، ص79.

1. \*) مارنيتي : هو فلبوتوماسو مارتنيتي ، شاعر ومحرر وناقد فني وأدبي إيطالي ، عمل في مجلة   
   ( شعر ) التي تصدر في مدينة ميلانو ، وقد نشر مارنيتي البيان المستقبلي الأول في صحيفة لافيغارو الفرنسية في العشرين من شباط 1909 . [↑](#footnote-ref-1)
2. \*\*) ساموتراس : تمثال إغريقي مشهور يعود إلى بداية القرن الثاني قبل الميلاد . [↑](#footnote-ref-2)